تحية وتقدير ...

كتبت هذه الصفحات لما وصلني خبر وفاة

الأستاذ حسن بن أحمد السوسيّ

وهو من فحول الشعر الليبي

بقلم

الحسين بن حيدر

2007

مدخل

كنتُ أنشد هذه القصائد في ندوة الشاعر الكبير الأستاذ حسن بن مصطفى الصيرفي (المتوفى عام 2008م) ؛ ولم يكن القوم قد سمعوا بالشاعر الليبي الكبير ؛ والقومي الأستاذ حسن السوسي ؛ وكنتُ أنشدها بفخر ؛ وكانت الآذان مصغية ..

سألني القوم . من هو حسن السوسي ؟

فقلت لهم : شاعر ؛ ليبي ؛ مخضرم ؛ لا يزال الآن حيَّاً ؛ لم ينل من الشهرة المقام الذي يستحقه لأنه شاعر حرٌّ ؛ ومتواضع ؛ لا يتكسب بشعر .

وبعد مجالس عديدة حكم الأستاذ حسن الصيرفي - وهو الشاعر المدني المرموق - أنَّ حسن السوسي شاعرٌ بحق ؛ ومن أعظم شعراء العصر .

**

جمعت هذه القصائد من صديق الشاعر وكاتبه السيد مالك بن العربي السنوسي ؛ بعضها كانت مدونات بخط الشاعر نفسه ؛ وبعضها كانت محفوظات لديه أملاها علي شفاهةً ؛ وكان قد كتب له ديواناً كبيراً بخط يده استعاره منه فلان حينما كان في ليبيا ولم يعده إليه .



الأستاذ حسن بن أحمد السوسي المتوفى عام 2007م

المولد والنشأة

شاعر ليبي مخضرم؛ ولد عام 1924م في الكفرة من القطر الليبي؛ وذلك إبان الاحتلال الإيطالي البغيض.

ثم هاجرت أسرته إلى مصر لما اشتدت وطأة الاحتلال على الشعب الليبي وتمكن من احتلال الكفرة مسقط رأسه وذلك في حوالي عام 1929م؛ فترعرع في مرسى مطروح في القطر المصري؛ ككثير من اللاجئين الليبيين قد نزل مرسى مطروح كبعض أفراد السنوسيين؛ الذين اتصل بهم وكانت بينه وبينهم ألفة ومودة، وتأثر كثيراً بالمجتمع المصري، فتلقى تعليمه الأولي في مصر؛ وحفظ القرآن؛ وتأثر بالفكر السنوسي؛ وترقى حتى حصل على الشهادة الأهلية الأزهرية عام 1944م وتنقل بعدها في بعض البلدان العربية؛ كلبنان وتونس، فاكتسب الكثير من المعرفة؛ وصقلت موهبته الشعرية؛ ولعل الحنين إلى الوطن مع ما ألحقه المحتل الغاشم ببلاده وشعبه قد أثر في نفسيته وشاعريته.

ونشأ الشاعر عفيفاً؛ متواضعاً طوال حياته. ثم عاد إلى بلاده عام 1944م وعمل مدرساً للغة العربية؛ حتى صار مفتشاً لمواد اللغة العربية في وزارة التعليم الليبي حتى أحيل إلى التقاعد عام 1988م

إبداعه الشعري

عايش السوسي كما قلنا ظروف الحرب التي مرّت بها ليبيا؛ وكـان المهجـر قـد أكسـبه الشـجاعة؛ وقـول الصدق؛ والرقة؛ والرأفة؛ وجودة الشعر؛ وسعة في الخيال.. فكانت عاطفته الشـعرية بعدُ صـادقة؛ غيـر متكسبة متملقة؛ ولا كاذبة لا روح فيها؛ فكان شعره يحكي وجدانه؛ ويصور عاطفته؛ فالشـعر هـو الـذي يأتيه كلما حانت المناسبة؛ ولم يكن هو الذي يأتي الشـعر متكلفـاً بـلا عاطفـة.. فقـال الشـعر الاجتمـاعي؛ والشعر السياسي؛ والشعر الحماسي؛ وكان له في الغزل باع؛ وظريفاً في كثير من قصائده؛ كـل هـذا مـع إبداع في الخيال؛ وابتكار في المعاني؛ وقوة في التعبير؛ كما كان جزل العبـارة؛ واضـح الإشـارة؛ تجـذب موسيقا شعره النفوس على غير إرادة؛ كمـا تبهرهـا تلـك المتانـة والقـوة والرصـانة؛ مـع مـا تحمـل فـي طياتها من روح تحث على الفضيلة؛ وما في خلف أسطرها من نبذ للرذيلة؛ وهو عان مع الأمـة آلامهـا؛ وعايش معها قضاياها؛ فلم تعزب عنه قضية فلسطين على سبيل المثال.

امتاز شعره بالبساطة؛ فهو خالي من التعقيد في اللفظ وفي المعنى؛ فالرجل البسـيط يقـرأ شـعره فيفهمـه ويتفاعل معه؛ والأديب الأريب يقرأ شعره فيجد نفسه محتاراً على بساطته أمـام تلـك الفصـاحة والجزالـة وتلك الفكرة؛ وذلك الخيال المبدع. حتى أصبح من أشهر شعراء ليبيا فـي عهـد الملكيـة السنوسـية؛ قـال في الشعر الأصيل (القديم/الكلاسيكي) كما استطاع وبشاعرية مبهرة وعجيبـة أن يقـول الشـعر الحـداثي؛ فأبدع في كلا المجالين وتفنَّن. وكان يكتب شعره بنفسه؛ وكتب لـه صديقه ورفيقه السيد مالك بن العربـي بن أحمد الشريف السنوسي سفراً كبيراً في شعره؛ وقال عنـه: كـان فـي بعـض الأحيـان يقـوم مـن نومـه ليدون بيتاً أو بيتين؛ أو ليدون فكرة متخيلة لتكون أساساً لقصيدة يكتبها بعد.

ولم يلق شهرةً على الرغم من قوة شعره ومتانته؛ والسبب في ذلك كما قلنا آنفاً انه لـم يتكسـب بشـعره؛ ولم يتملق لأحد؛ وإنما كان شاعراً حراً؛ عفيفاً؛ قد وهبه الله الرضى والسكون؛ وما مدح أحداً من أربـاب السياسة إلا عن عاطفة صادقة نابعة من وطنيته وقوميته؛ فهو يقول الشعر لأنه شاعر.

واستمرت به الحياة حتى عايش دولة الثورة لأكثر من ثلاثين عاماً حتى توفي رحمه الله في يوم الأربعاء 21 من شهر نوفمبر 2007م في تونس؛ ثم نقل إلى بنغازي ليدفن فيها يوم الخميس 22 من الشهر المذكور؛ وذلك عن 83 عاماً قضاها في الدعوة إلى الفضيلة.

آثاره :

ترك عدة دواوين مطبوعة؛ وهي:

1. **ديوان الركب التائه؛ طبع عام 1963م**
2. **ديوان ليالي الصيف؛ طبع عام 1970م**
3. **ديوان نماذج؛ طبع عام 1981م**
4. **ديوان نوافذ؛ طبع عام 1987م وحصلت عليه مصوراً**
5. **ديوان الفراشة؛ طبع عام 1988م**
6. **ديوان الزهرة والعصفور؛ طبع عام 1992م**
7. **ديوان الجسور؛ طبع عام 1998م**
8. **ديوان ألحان عربية؛ طبع عام 1998م**
9. **ديوان تقاسيم على أوتار مغاربية؛ طبع عام 1998م**
10. **ويذكر أن له ديوان مخطوط بعنوان (كما أنا)**

نماذج من شعر السوسي



1

" البائسة "

قصيدة للشاعر الليبي المخضرم الأستاذ حسن السُّوسِيّ تعبر عن قصة واقعية لا من نسج الخيال، فكم في هذا العالم من مآسي وشرور، وكم فيه من أسرار.. إنها قصة فتاة تدعى زينب.. وهي من شعره الاجتماعي

زينب (البائسة)

طفولة :

فتاةٌ لم تَجُزْ عشرين عامًا ... يحُطُّ جمالُها البدرَ التماما
قضتْ سِنَّ الطفولة في نعيمٍ ... وأيَّامَ الصِّبا الحُلوِ ابتساما
يُظَلِّلها حنانُ أبٍ رحيمٍ ... وأُمَّهَةٍ بها هامتْ هياما
فلما أنْ تبدى الحُسْنُ منها ... وأَوْرَقَ عودُها وزكتْ قواما

شبابٌ :

غَدَتْ في الحيِّ فتنةَ كلَّ حَيٍّ ... وصارتْ فيه فاكهةً حراما
تفتَّحَ حسنُها فسعى إليها ... شبابُ الحيِّ ملهوفاً تَرَامى
يُمَنِّي كلُّ ذي حسبٍ وجاهٍ ... بها النفسَ التي ذابتْ غراما

جشعٌ :

أبوها مُولعُ بالمالِ جمعاً ... يقدسُه وإنْ صلى وصاما
أتاه كم فتىً في بردتَيْه ... يضمُّ فُتُوةً وهوىً لُهَاما
فأقسم لا تُزَفُّ لغيرِ حُرٍّ ... تعاظمَ ثروةً ، وسَما مقاما
وحَدد مهرها إبلاً وشاءً ... تضُمُّ الحيَّ إنْ راحتْ بُغَاما

زواجٌ :

فَصَكَّ حَدِيْثُها أَسْماعَ شيخٍ — له في الحيِّ شأنٌ لا يُسامى
أخِي ستينَ أفنتْهُ الليالي — ونالتْ منه .. فانهدم انهداما
لقد فطموه مِن حينٍ ولكنْ — عن الشهواتِ لم يبلغْ فطاما
لم يترك مرورُ الدهرِ منه — عَدَا جلداً تَجَعَّدَ أو عظاما
تَوَلَّى عهدُ نُضْرتِهِ .. وعهدٌ — به يسْتَلْفتُ الغيرَ اهتماما
وَهَى.. فاستنجدَ الطِبَّ اعتقاداً — بأنَّ الطبِ قد يُحيي العظاما
ففوقَ خُوانِه من كلِّ صِنْفٍ — قواريرٌ فرادى.. أو تُؤامى
حَوَتْ شَتَّى صنوفٍ من دواءٍ — وكلُّ زجاجةٍ خَصَّتْ سقاما
له مِن مالِهِ النامي جوازٌ — يحلُلُ كل ما أمسى حراما
أتاهم خاطباً فتقبلوه — وزادوه وقاراً واحتراما
وزفُّوها إليه .. ولم يبالوا — معاتبةً .. ولا خافوا ملاما

معيشةٌ :

أقامتْ في رحابِ الشيخِ حيناً — فما حمدتْ بساحته المقاما
ولا طعِمَتْ لثروتِه نعيماً — ولا بلغتْ بصحبته المراما
وماذا رَبَّةُ العشرين تلقى — لدى مَن جاوز الستين عاما؟
وكم فَرَّتْ إلى الأهلين تشكو — فما أولوا شكايتها اهتماما
إلى ميراثه قلبوا عيوناً — ترى دون غايتها ظلاما

فرارٌ :

رآها بعضهم فسعى إليها — وحلق حول مخْبئها .. وحاما
ومَنَّى نفسه أن يحتويها — وإنْ هو جُرِّعَ الموتَ الزُّؤاما
ومَهْدَتِ الطريقَ له عجوزٌ — أحالَ الدَّهرُ جمَّتها ثغاما
أتتها في ثيابِ النُّصْحِ تنعي — شباباً قد ذوى حتى ترامى
ومازالت بها حتى اطمأنتْ — إلى لقياه شوقاً ، وانتقاما
فعاطاها الهوى كأساً بكأسٍ — وعاطتْه المنى جاماً .. فجاما
وأغراها بمعسولِ الأماني — فألقتْ بين كفيْه الزماما
والْفَتْ غِرَّةً فسعتْ إليه — تعاشره معاشرةً حراما

غدرٌ :

تنَعَّمَ في محاسنها زماناً ... ورَوَّى من مفاتنها الأواما
ومرَّ عليه حين فاحتواها ... وهام بغيرها أخرى غراما
فما حفظ الوفاءَ لها بعهدٍ ... ولا راعى المواثق والذماما
وغادرها فَأُسقطَ في يديها ... أتمضي خلفُ .. أم تمضي أماما؟

تشردٌ :

فسارتْ ليس تعرفُ أين تمضي ... ولا أيَّان تختار المقاما
وراحتْ تذْرَعُ الطُرُقاتِ سعياً ... وتُذري الدمعَ سَحَّاً وانسجاما
وتلتحفُ السماءَ إذا أجَنَّتْ ... وتتخذ الفراشَ لها ؛ الرُّغاما
إذا وجدت رغيفاً بعد كِدٍّ ... وجُهدٍ .. عَزَّ أن تجد الإداما
إلى أنْ صادفتْ "يوماً " عجوزاً ... لها إبليسَ قد جعلتْ إماما
عجوزٌ نُشِّئَتْ في السُّوءِ حيناً ... فلم تدرِ الوقارَ والاحتشاما
فراعَ الحَيْزَبُوْنَ لها جمالٌ ... كفيلٌ أنْ يبَلِّغها المراما
وبعد سماعِ قصَّتَها دعتْها ... وقالتْ ؛ وهي تُظْهِرُ الاهتماما
هي الدنيا كَمِرْآةٍ تُرِيْنَا ... خيالَ الشيءِ منطبعاً تماما
إذا قَطَّبْتِ كان لها قُطُوْبٌ ... وإن تتبسمي تُولي ابتساما
وكم من فُرْجَةٍ من بعدِ يأسٍ ... أتتْ كالضوءِ يعْتَقِبُ الظلاما
فما لكِ والهُمُوْمَ ؟ فأنتِ مِنَّا ... غدوتِ ، وهاهنا طيبي مقاما
فَلاَنَتْ بعد أنْ نَفَرَتْ وَقَرَّتْ ... لتكتب في روايتها الختاما

سقوطٌ :

مَرَرْتُ وصاحبي " يوماً " بِحَيٍّ ... على أبوابه شِمْنَا زحاما
وقوماً قد قضوا وطراً وولوا ... وقوماً بابه التزموا التزاما
تَجَمَّع فيه مَنْ شَبَّ و دَبَّ ... نساءٌ يحترفنَّ خَنىً وذاما
يَبِعْنَّ العِرْضَ مُبْتَذَلاً رخيصاً ... لكي يبتعن بالثمن الطعاما
لِكُلِّ قِصةٌ مِنْهُنَّ تُخْفِي ... وراءَ سطورها خطباً جُسَاما

تطفلٌ :

رأيتُ صبيةً فيهنَّ أخْفَتْ ... أسىً مُرَّاً ، وإنْ أرتْ ابتساما
حباها الخالقُ الباري قواماً ... رطيباً ، جلَّ مَنْ وهب القواما
ونَجْلاويْن زانَهُما ذبولٌ ... وثغراً ضُمِّنَ الدُّرَّ التُّؤاما

ومثـــل ســـبائك العقيـــانِ شـــعراً		وأنفــــاً كالسُّـــــريْجِيِّ اســــــتقاما
جمــــالٌ يَسْـــحَرُ للألبــــابِ حَقَّــاً		ويجعلهــــا تهـــيمُ بــــه هيامــــا
ولكــــن.. راعنــــي منهــــا وُجُــــوْمٌ		فمــا سِــرُّ الوجــومِ تُــرَى ؟ علامــا؟
وقفــتُ ، فحــدَّقْتُ ، فــدنوتُ منهــا		فقامــــتْ للمُلِــمِّ بهــــا ، احترامــــا
ولمــــا أن أشَــــرْتُ تقـــــدمتْني		إلــى ركــنٍ بــه اتخــذتْ مقامــا
وغَلَّقـــتِ المنافـــذَ فـــي أنــــاةٍ		وحَلَّـــتْ مئـــزراً ، ونَضَـــتْ حزامـــا
وقالــتْ : هِيْــتَ ، قلــتُ : معــاذ ربــي		أبعــد الشـــيب اقتــرفُ الحرامــا؟

ذهولٌ :

فخالجهــــا لإحْجَــــامي ذهـــــولٌ		وقالــتْ " وهــي تبــدي الإحتشــاما "..
إذنْ مــاذا أتــى بــكَ ؟ قلــتُ : إنــي		أريـــدُ حقيقـــة تجْلـــوُ القتامـــا
رأيتُــكِ فــي النســاءِ ، ولســتِ ممــنْ		بهـــذا الحـــيِّ تختـــارُ المقامــا
فمــن أنــت .. ؟ ومــن أهلــوكِ ؟ مــاذا		رمــى بــك ؟ أيُّ خطْــبٍ قــد أضــاما
فأجْهَشَـــتِ الصـــبيةُ ثُـــم أغضــتْ		ومـــن طـــرفِ القنـــاعِ لـــوت لثامــا
وقالــــتْ : قِسْــمَةٌ ! حــظٌّ شَــقيٌّ		رمـــى بـــي .. ليتـــه كـــان الحمامــا
وقَصَّـــتْ قصـــةً عجبـــاً أحالـــتْ		ضـــياء الـــدارِ فـــي عينـــي ظلامـــا

نهايةٌ :

ذهبــتُ وفــي الفــؤادِ أســىً عميــقٌ		وعُــدْتُ ، وكنــتُ قــد أبطــأتُ عامــا
فلــم ألْمَــحْ لهــا فــي الــدارِ وجهــاً		ولـــم أســـمع بـــدعوتها كلامـــا ..
ســألتُ ، فقيــل : عاجلهــا عُضــالٌ		فَــرَى أحشــاءَها ، وبــرى العظامــا..
وفــي عمــرِ الزهــورِ قضــتْ وراحــت		تبُـــثُ الحـــزن مَـــنْ بَـــرَأ الأنامـــا
وخَلَّـــتْ عالمـــاً لـــم يحـــو ممـــا		يشـــــير بفعلــــــه إلاَّ الكلامـــــا
خرجْـــتُ مطأطئـــاً أســـفاً لأقضــي		ســــحابةَ ذلـــك اليـــوم اغتمامـــا
ولمـــــا أن تضـــــمنني فـــــراشِ		تســـرَّب طيْفُهـــا نحـــوي وحامـــا
وذكرنــــــي ببائســــــةٍ أطاحـــــتْ		بهـــا شـــهواتُ مَـــنْ جَنَـــوْا الأثامـــا
أبِ أعمـــاهُ حُـــبُّ المـــالِ حتـــى		رأى بيـــع البنـــاتِ غـــدا لزامـــا
وبعْـــلٍ مـــلءِ حُلَّتِـــهِ غـــرورٌ		فلـــم يَـــرَ فـــي تبذُّلـــه ملامـــا
وخِـــلٍّ لا الشـــهامةُ فيـــه طبـــعٌ		ولا كـــــان الكـــــريمَ ولا الهمامـــــا
وذئبـــانٍ جيـــاعٍ لا تبـــالي		ومجتمـــعٍ عـــن الحُسْـــنى تَعَـــامى

بحثـــتُ عـــن الرُّقـــادِ .. فلـــم يـــواتِ وكيــف ؟ وقــد نَفَــتْ عنـــي المنامــا
فقمـــــتُ اخـــــطُّ قصـــــتَها عظـــــاتٍ وأقـــرئ طَيْـــفَ زائرتـــــي الســـــلاما

2

ومن شعره الحماسي القومي

تحية للملك محمد الخامس

تحية من الشاعر في قصيدته هذه إلى الملك محمد الخامس بن يوسف ملك المغرب على مغالبة الاحتلال الفرنسي في المغرب؛ وكانت فرنسا قد نفته من المغرب؛ ثم عاد وأعلن استقلال المغرب؛ وهي قصيدة سمعناها من صديقه وكاتب أشعاره السيد مالك السنوسي.

عيدٌ وفي العيد العِظاتَ لمن وعَى — عيدٌ وليس العيدُ لهواً ممتعا
وزجاجةٌ رقصَتْ بما في قعرها — رقْص القَلُوصِ براكبٍ قد أسرعا
ومليحة تسقك كوثر عبقها — عذباً ؛ وتثني بالشراب مشعشعا
كلا ولا ثوبَ يروعك منظرا — أبداً ؛ ولا ظبياً يروعك أثلعا
لكن عيد الشرق يوم نراه قد — نفض الكرى عنه وعاف المضجعا
وجرى الغربي في ميدانه — واستلَّ من يده المفاخر اجمعا
وسَما وأرشدَ في الفضائل شورة — وأقام مدرسةً وشيَّدَ مصنعا
وبنا البوارج كالقلاع متينة — تعلو العباب ؛ ومنه صمم مدفعا
واحتال للعلياء من أبوابه — وعن التناحر ؛ والتطاحن أقلعا
إنَّا لفي زمنٍ مسامع أهله — لسوى الحديد وقصفه أن يُسمعا

** **

يا عيد قد أتحفتنا بهدية — كادت لها الأضلاعَ أن تتصدعا
الناس تهدي الطيبات ؛ وأنتَ — عن إهداء ما أهديتَ لن تتورعا
في ذمة التاريخِ تاج قد هوى — وصحيفةٌ طُويتْ ؛ وشعبٌ روعا
إيه ابن يوسف لا تُراع لغدرهم — إنّا عرفناك الأبي الأروعا
شُلّتْ يدٌ مدَّتْ إليك أناملَ — اَجتاحت حماك المُمرعا
غمزتْ قناتك كي تلين ؛ فَراعها — منك الإباء وهابها أن ترجعا
إنّ السيادةَ ؛ أن تعيش بعزَّة — أو أنْ تموتَ مكرماً لن تفظعا
ورأت فرنسا بأسنا ومضاءنا — من قبل أن تسعى إليك وتخلعا

لكننـــا ليســـتَ لنـــا مـــن حيلـــةً إلاّ الـــدموعِ ! وقـــد ذرفنـــا الأدمعـــا

*** ***

للشـــرق يـــومَ ســـوف يســـفر صـــبحه فيعيـــد ســـؤدده الـــذي قـــد ضـــيعا

3

مريم.. قصيدة اجتماعية أخرى للشاعر الليبي المخضرم حسن السوسي؛ تعبر عن قصة واقعية.. وسوف نرفق القصيدة بخط المؤلف

مريم

كنـــــتُ فـــي الــــدارِ عنـــدما ... رَنَّ صَـــــوْتٌ .. ودَمْــــدَما
وإذا ضــــــــجَّةٌ عَلَـــــــتْ ... وســـــمعنا تَرَنُّمــــــا ..
وزغاريــــــــــدَ طَبَّقَـــــــتْ ... مَسْـــمَعَ الأرضِ والســـما ..
قلـــتُ : عُــرْسٌ ، فقـــال لـــي ... بعـــضُ مـــن كـــان .. رُبَّمـــا
قلـــتُ : فـــي أيِّ وِجْهَـــةٍ ... قـــال : فـــي بيـــتِ " أكرمـــا "
قلـــتُ : مَـــنْ عنـــده فقـــا ... ل الـــذي قـــال .. مُرْغمـــا..
بِنْتُـــــهُ تُجْتَلَـــــى غـــــداً ... زوجـــةً لابـــن " أسْـــلَما "
وصَـــمَتْنَا .. ولـــم يَعُـــدْ ... أيُّنـــا قـــد تكلمـــا ..
وإذا طــــــارقٌ أتــــــى ... ثـــم حَـــيَّ .. وســـلَّما
ودعانـــا " لحفلـــةِ " العُـــرْسِ ... فـــي دار .. " أكرمـــا "

*   *

فرأينــــا صـــــبيةً ... أُوْتيـــتْ صـــورةَ الـــدُّمى
خَصَّـــها اللهُ بالجمـــالِ ... وأرْبَـــى .. تكرُّمـــا
اخـــذتْ فـــوقَ حظِّهـــا ... منـــه فـــي يـــوم قُسِّـــما
فقوامـــــاً مُهَفْهَفـــــاً ... جَـــلَّ مَـــنْ كـــان قَوَّمَـــا
وأَسِـــــيْلَيْنِ وُرِّدَا ... كلهيـــــبٍ .. تَضَـــرَّما
كـــلَّ عضـــوِ عليـــه قَـــدْ ... وَضَـــعَ الحُسْـــنُ مِيسَـــما
قـــد دُعينـــا ولـــم نصـــب ... مِـــن جَنَـــى العُـــرْسِ مَطْعَمـــا
وشُـــغِلْنَا عـــن الطعـــام ... بمـــن كـــان " أطْعَمـــا "
وشـــربنا .. وإنمـــا الشُّـــر ... بُ .. قـــد زادنـــا ظَمَـــا
فغبطنـــا عريْسَـــها ... بـــل حســـدناهُ .. ربمـــا
وطربنـــا .. وكلُّنـــا ... بـــاتَ فيهـــا متيَّمـــا
كلُّنـــا قـــال صـــادقاً ... ليتنـــي صِـــهْر " أكرمـــا "

*   *

بعـــــدها دَقَّـــــت الطبـــــولُ   وســـــــارُوا " بمريمــــــا "
واختلـــــى عِرْسُــــها بهــــا   حيـــــث ظــــنَّ التَنَعُّمــــا
ثـــــم مِــــنْ بعـــــد برهـــــةٍ   عـــــاد عنهـــــا .. وأحجمـــــا

*   *

كنـــــتُ فـــــي الـــــدار عنـــــدما   صـــــيْحَةٌ شَـــــقَّتْ السَّـــــما
ودَوِيٌّ مُزلْـــــــــــــــزِلٌ   مثلُـــــه الرَّعْـــــدُ عِنْـــــدَما ..
وصِـــــــيَاحٌ وضَـــــــجَّةٌ   تـــــوقِظُ النـــــاسَ نُوَّمـــــا
قلـــــتُ مـــــاذا ؟ فقيـــــل لـــــي   قُلِـــــبَ العُـــــرْسُ مأتمـــــا
مـــــريمُ " فَرَّطَـــــتْ " ولـــــم   تُشْـــــبِه اليـــــومَ " مريمـــــا "
وَصَـــــمَتْ عِرضَـــــها وقـــــد   غُسِـــــلَ العِـــــرْضُ بالـــــدَّما

مريم

كنتُ في الدّارِ عِنْدَمَا
رَنَّ صوتٌ ... ودَمْدَمَا

وإذا ضجّةٌ علَتْ
وسَمِعْنَا تَرَنُّمَا ...

وزغاريدَ طبّقَتْ
مَسْمَعَ الأرضِ والسّمَا ...

قلت: عُرْسٌ فقالَ لي
بعضُهم كان ... رُبّمَا

قلت: في أيِّ وِجْهَةٍ
قال: في بَيْتِ (أكرما)

قلت: مَنْ عِنْدَهُ فقا
لَ ... الذي قال ... مُرْغَمَا ...

بِنْتُهُ تُجتلَى غداً
زوجةً لابنِ (أَسْلَمَا)

وصَمَتْنَا ... ولم ~~يكن~~ يَعُدْ
أيُّنا ... قد تكلّما ...

وإذا طارقٌ أتَى
ثم حَيّا ... وسَلّمَا

ودعانا (لحفلةِ) (العُرْسِ)
في دار ... (أكرما)

فرأينا صبيّةً
أُوتيتْ صورةَ الدُّمى

خصّها اللهُ بالجمال
وأزرى .. تكرّما

أخذتْ فوق حظّها
منه .. في يوم قسّما

قصّوا ما مهضّمًا
جلّ من كان قوّما ..

وأسيلينِ وردًا
كلهيبٍ .. تضرّما

كلّ عضوٍ عليه قد
وضع الحُسْنُ ميسما

قد دُعينا ولم نُصبْ
من جنى العُرْسِ مطعما

وشُغِلْنا عن الطّعام
بمن كان (أطعما)

وشربنا .. وإنّما الشرْ
بُ .. قد زادنا ظما

فغبطنا عريسكم
بل حسدناهُ .. ربّما

وطربنا .. وكلّنا
باتَ فيه متيّما

كلّنا قال صادقًا
ليتني صِهْرُ (أكرما)

بعدها دقّت الطبول
وساروا (بمريما)

واحتفل عرسُهم إلى
حيثُ ظنّ التنعّما

ثم من بعد لحظةٍ
عادَ عزلٌ .. وأحجما

كنت في الدار عندما
صيحةٌ شقّت السما

ودويٌّ مُزلزلٌ
مثلهُ الرّعدُ عندما

وصياحٌ وضجّةٌ
توقظ الناس نوّما

قلت ماذا؟ فقيل لي
قلب العرس مأتما

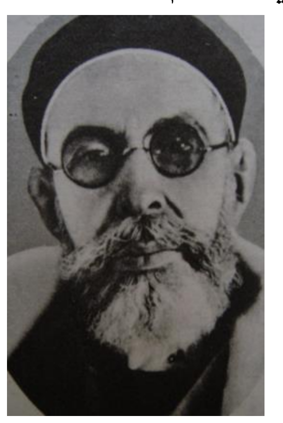
مريم (فُرّطت) ولم
تشبه اليوم (مريما)

وقضت بعرضها وقد
غُسِلَ العرض بالدما

4

في يوم الاستقلال الليبي

نشرت القصيدة في مجلة السراج ليبية حينما كان الشاعر يعمل معلماً للمواد العربية في مدرسة الأبيار عام 1952م وهو يحي الشعب الليبي بالنصر وباستقلال التراب الليبي عن المحتل الإيطالي؛ وتولي الملك إدريس السنوسي الحكم في ليبيا.



الملك إدريس السنوسي

سَرى مسرى النسائمِ أي جرْسِ — وكان له صدىً في كلِ نفسِ
سَرى كاللحنِ في نغمٍ طروبٍ — فأرقصَ كلَّ جارحةٍ وحسِ
فظلّ القومُ مِن فرحٍ نشاوَى — بِخمرِ سعادةٍ لا خمرِ كأسِ
فأنّى تتجهْ تلقَ احتفالاً — كأنّ القومَ في أيامِ عرسِ

** **

كأنّ الأرضَ شاركت الأناسِي — بما هُم فيه مِن فرحٍ وأُنسِ
بَدت في نظرةٍ ؛ وصفاءِ وجهٍ — ؛ ورونقِ منظرٍ ؛ وبهاءِ لِبْسِ
وماسَتْ كالخريدةِ حين تُجلَى — نقيّةَ مِئزرٍ ؛ طهراً لِعرسِ

** **

أجل قد عمّ ذا القطر ابتهاجٌ — بِمولدِ دولةٍ وطلوعِ شمسِ
فيا لَكَ من دُجَى ليلٍ بهيمٍ — تبلّج بَحرُه مِن بعدِ يأسِ
ويا لك مِن ضُحى يومٍ بهيجٍ — يُطِبُّ جراحةَ الماضي ويؤسي

*** ***

رمتنــا مِــن ســنا الــدهرِ شُــهْبٌ   **أحالـــت كـــلّ مُورقـــةٍ بِيُـــبْسِ**

ثلاثــون انقضــتْ مِــن بعــدِ خَمْــسٍ   **عجـافٍ قـد مضـتْ مِـن بعـدِ خمـسِ**

أذاقتنـــا صـــروف الـــدهر صـــرفاً   **وعاطتنـــا الهمـــومَ بكـــلِّ كـــأسِ**

فمـــن قتـــلٍ ؛ وتشـــريدٍ ؛ ونفْـــيٍ   **إلـــى ظلـــم ؛ وإذلالٍ ؛ وحـــبسِ**

سُـــلبنا كـــلّ مـــا ملكـــت يـــدانا   **؛ سوى هِمـمٍ لنـا ؛ ومضـاء بـأسِ**

وقـــد شـــهِد الجميـــعُ لنـــا بأنّـــا   **إذا نـــادى المنـــادي غيـــرُ قُعـــسِ**

*** ***

حيـــاةُ العـــزِّ لا تُعطَـــى اجتـــداءً   **ولا تَشـــرى إذا بِيعـــت بِـــبخسِ**

شـــــريْناها بشـــــبانٍ كـــــرامٍ   **وأشـــياخٍ كأُسْـــدِ الغـــابِ حُمـــسِ**

بكـــلِّ فتـــىً كـــان لـــه انتســـاباً   **لِحـــاتمِ طـــيْء ؛ ولِفحْـــلِ عـــبسِ**

إذا قيـــل النّـــوالُ فبحـــرُ جُـــودٍ   **وإن قيـــل النِّـــزالُ فليـــثُ حِلْـــسِ**

أولئـــك قـــدّموا ثمنـــاً ليـــومٍ   **شِـــراهُ لـــيس بـــالثمنِ الأخَـــسِّ**

*** ***

كـــذلك كـــلُّ مَـــن طلـــب المعـــالي   **تقلّـــب بـــين أفـــراحٍ وبـــؤسِ**

ودون الـــوَردِ أغصـــانٌ وشـــوْكٌ   **تُـــدمي راحـــةَ الجـــاني وتُخســـي**

ألا أيُّهـــــا الملـــــكُ المُفَـــــدَّى   **ويـــا واقٍ لنـــا مِـــن كـــلِّ بـــأس**

برأيـــك قـــد بلغنـــا مـــا بلغنـــا   **ومـــن مسْـــعاك أثمـــر كـــلَّ غَـــرْسِ**

زمـــان الراشـــدين أعـــدْه فينـــا   **ودولـــــةَ آل عبَّـــــادٍ وشـــــمسِ**

فإنـــك لـــم تـــزل للمجـــد بـــانٍ   **تُشَـــيِّد كـــلَّ باذخـــةٍ وتُرسِـــي**

فَعِـشْ والشـعبُ فـي رغـدٍ ويُمْـنٍ   **فعهـدك ينسـخُ الماضـي ويُنْسِـي**

5

بلادي

يتألم الشاعر هنا على بلاده الصغرى (ليبيا) أو على بلاده الكبرى بلاد الأمة العربية

نعـم !! إنـي أحبـكِ يـا بـلادي ... وأمنحـك الكثيـر مـن الـودادِ
تغلغـل فـي دمـي حُبِيْـكِ حتـى ... لغيـركِ لـيس شـيءٌ فـي فـؤادي
ومـن لـم يمـنح الأوطـان حبـاً ... يعيش في الناس أشبه بالجمادي
ولـيس الـودُّ أن نهـوى ثراهـا ... ونحجـم عـن نِـدَاها إذْ تنـادي
يَعِـزُّ علـيَّ أن تلقـي صـغاراً ... ويُمشـى فـوق أرضـكِ بالفسـادِ
وكـان الانتمـاءُ إليـكِ فخـراً ... فكـاد يكـون عـاراً يـا بـلادي
وكـم نَشَّـأتِ مِـن بطـلٍ مُشـيحٍ ... حمـاكِ ؛ وردَّ غائلـة الأعـادي
وكـم علّمـتِ إقـداماً جبانـاً ... إذا نـادى المنـادي للجهـادِ
بَنَيْـتِ ؛ فجـاء بعـد القـومِ قـومٌ ... أحـالوا مـا بنيـتِ إلـى رمَـادِ
وقد عُكستْ بـك الأوضـاعُ حتـى ... رأينـا الغـيَّ يعبـثُ بالرشـادِ
يسوسُ النـاسَ فيك علـى هواهم ... أنـاسٌ قـد تمـادوا فـي الفسـادِ
ومِـنْ عجـبٍ نـرى مَـنّ كـان منَّـا ... لـه فـي قومـه بِـيْضُ الأيـادي
نُـنَقِّصُ قَـدْره ونُعيـبُ فيـه ... ونَسـلقه بألسـنةٍ حِـدادِ
ومـا سُواسـنا إلا تِجـار ... علـى آمـالِ أمتنـا تنـادي
فقـد بـاعوا الضـمائر منـذ قـاموا ... علـى أمـر الرعيـة فـي المـزادِ
أرى التـاريخ ضُـمّتْ دَفَّتـاهُ ... إلـى مـا لا يصـيرُ إلـى نفـاد
سيفضـحُ أمـرهم يومـاً ؛ ويُخـزي ... فِعـالاً لطخوهـا بالسـوادِ
ومـا اسـتقلالنا إلا كـلامٌ ... يُقـال ؛ وإنـه ذَرُّ الرَّمـاد
ومـا دسـتورنا إلا سـطور ... علـى القرطـاسِ خُطّـتْ بالمـدادِ
فبسـم الأمـةِ أُقترفـتْ أمـورٌ ... تَهَيَّـبَ أن يجـيء بهـا الأعـادي

وبالقـــانون نُحكـــم غيـــر أنَّـــا   وبـــــالأهواء نجـــــنحُ للمُــــــرادِ
وذَلَّ بأرضـــنا مـــن كـــان قـــبلاً   إذا سِـــيْم الأذى صـــعب القِيـــادِ
وَقُـــدِّمَ كـــلُّ رعديـــدٍ جبـــانٍ   وأُخِّـــرَ كـــلُّ صـــنديدٍ جـــواد
ومَـــنْ لـــم يحتـــرف مِنَّـــا نفاقـــاً   يعـيشْ إنْ عـاشَ مكسُورَ الفـؤادِ
كـذاك الحــالُ حــين يَسُــودُ قــومٌ   هـــم الجهـــلُ المُطَعَّـــمُ بالفســـادِ
نَصحْتُ !! فلم أجدْ أذناً لنصحي!   وكيــف يصــيخُ مســلوبُ الفــؤادِ؟
كـــأن القـــومَ قـــد مـــرَّتْ علـــيهم   وحَطَّــتْ مِــن قــواهم ريــحُ عــادِ
فأجـــدرُ أن نقـــول اليـــوم قـــولاً   تُبُـــودِلَ منـــذ آمـــادٍ بِعـــادِ
(لقـــد أســـمعتَ إذ ناديـــت حيـــاً   ولكـــن لا حيـــاة لمـــن تنـــادي)

نماذج من شعره بخط يده

امرأة فوق العادة ....

مَنْ أَعْيُنِهَا لا تُشْبِهُهَا امرأةٌ أُخرى

يضحكُ في عَيْنَيْهَا فرحُ الدُّنيا ..

وعلى شفتيها يَنْدَى الوردُ .. وتَرْتَسِمُ البُشْرَى

تلك امرأةٌ أُخرى ..

تلك امرأةٌ فوق العادة

هي - أحيانًا - أَلمح فيها «قِيَمًا زيادة»

وأرى فيها - حينًا آخرَ - شيئًا مِنْ «وِلادة»

لكنْ .. تبقى نَمَطًا ..

تبقى .. وَسَطًا

بينَ «الحُلْوِ» وبينَ «السَّادة» !

فليستْ «قِيَمًا» ولا «وِلادة»

لم تَكْتُبْ فوقَ عصًا بترًا : إني لِلْحُبِّ ..

أو تَكْتُبْ فوقَ كتابتِهَا مِنْ جُرْحِ القَلْبْ

أُبصِرُ فيها - فوقَ الأُنثى...

بلداً .. وطنا

أهلاً .. سكنا

فيها مِنْ فِطْرةِ أُمَّتِها ... وطِباعَ عَشيرتِها..

كِبْرٌ لا يَحْتَمِلُ الزّيفْ

ولا يغتفِرُ الحَيْفْ

وبِبِشْرٍ تلقى زائِرَها .. كلقاءِ الضّيْفْ

تأسِرُهُ بمودّتِها أسْرا

تغمرُهُ ببشاشتِها غَمْرا

(فيشرّفُ) فوق العينِ .. وفوقَ الرّأسْ

بِنصاعةِ (بنغازي)، ووداعةِ (جربة)

ووقار (قسنطينة)، وأصالةِ (فاسْ)..

تلقى زائرَها ..

فإذا ما غيّرَ جِلْدَتَهُ، أو جاوزَ رُتبَتَهُ ..

٢

نظرتُ شزْرًا

شمختُ كِبْرًا..

تلكَ امرأةٌ فوقَ العادهْ..

تلكَ امرأةٌ أُخرى

تشعرُ - حينَ حضورِكَ - في حضرتِها.. أنّكَ ضائعْ

تتلاشى في ملكوتِ السّحرِ الرّائعْ

تُبحرُ في عُمقِ العينينْ..

وفي شفقِ الخدّينْ

وفي وردِ الشّفتينِ الرّاعشتينْ

ويضيعُ صوابُكَ في لفتاتِ الجيدِ النّاصعْ

تتعلّمُ - حينَ تكونُ بحضرتِها - فنّ الإصغاءْ

تأسرُكَ اللّفتةُ، والإيماءةُ، والإيحاءْ

تتحدّثُ عنهُ كلّ الأشياءْ..

وتحلّقُ في كلّ الأجواءْ..

٤ وتلامس كلَّ المحظورات

فتحسُّ بصدقِ مودَّتِها، وبراءةِ أُفقِها، وبما هو آتْ

تتحدَّث في عفويّةِ أهلِ الصِّدقْ

وبساطةِ أهلِ العشقْ

بعيداً عن تمجيدِ النّفسِ، وحبِّ الذّاتْ

تقضي بمواجعِ أهلِ البؤسْ

ومباهجِ أهلِ الأُنسْ

وصفاقةِ بعضِ الناسْ

فتشدُّكَ هاتيك النّظراتْ

وتحسُّ بدفءِ الأنفاسْ

وبروقٍ منذ ذاكَ السّمتْ

ويهزُّكَ إيقاعُ النّبراتْ ...

فتدقُّ بداخلِ هيكلِكَ المُغلَقِ كلَّ الأجراسْ

– – – – – – – –

حيناً آخر ...
تتنآى بك في الأفق الممتد
وتُراوح - وهي تحدّث - بين الجزرِ، وبين المدّ
وتمازج بين الهزلِ، وبين الجدّ ...
وتميّع مدلول الكلمات
تتبسّط حتى تحسب أنك منها أقرب شيء
لكنْ - لمساحةِ ما بين البيْنيْن حدودْ
ومسافةُ ما بين البُعدَيْن تزيدْ -
وبرغمِ بساطتها - وتبسّطها -
تتوجّس منها - أبداً - خيفهْ
تتوقّع شيئاً ما ...
لا تدري من أيّ فِجاج الخوف يجيء
فتظلُّ تُراوح بين الجمرِ، وبين الما
تتمزّق بين النشرِ - وبين الطيّ

يتحشرج نهر العطش المر

يتطلس ما بين الشفتين ، وبين الحلق ، وبين الصدر

وتحس كأن الأرض تميد

فتخيم في ليل العينين السوداوين طويلاً ، ثم تفر

ورثت عن جدتها (زينب) 2

تلك (النفراوية)

مجد العقل ، ومجد القلب

ومجد الحسن ، ومجد الحب

ورثت سمت أميرة --

ورثت أشياء كثيرة --

قرطاً ، عقداً ، أسورة ، وقلادة

ورثت عزاً ، خزاً ، طلسماً ، (حرزاً)

(حرزاً) يحرسها من نظرات المفتونين

ويجنبها وخز عيون المنهومين

١.

ويَبْسِمُ بُسْتانَ الخوخِ النّاضِجِ فيدنو

عن أيدي المحرومين ..

ويسرُّ فيه ..

يُديمُ عليكَ نعمةَ هذا الوجهِ النّاضِرِ والحُسْنِ الباهرِ .

تبقى مهما (تتأتّى) عنكَ .. و(تتأتّى) عن ... مِلءِ الخاطر

فهي الغائبُ .. وهي الحاضِرْ

تبقى في أعماقِكَ فيضَ مشاعِرْ ..

نبعَ سادَهْ .. فهي امرأةٌ فوقَ العادَهْ

فتقرّبْ منها .. وازْدَدْ قُرْبًا .. تَزْدَدْ بُعْدًا

فستبقى أبدًا أنتَ وهيَ ..

كتوازي الخطّيْنِ الممتدّيْنِ ..

لا يلتقيانْ .. مهما امتدّا .

حسن السوسي / بنغازي

1- "السادَهْ" في اصطلاح بعض العرب = القهوة بدون سكر

2- "زينب النفزاوية" هي زوجة يوسف بن تاشفين، كانت قبله زوجة الأمير أبي بكر بن عمر أحد أمراء المرابطين، وقبل أبي بكر كانت زوجة للأمير (لقوط) أمير (أغمات) قبل استيلاء المرابطين عليها وقبل (لقوط) كانت محظيّة للأمير (وقطاس) أمير (وريكة) كانت ذات جمال وعقل وذكاء وتدبير، تزوجها ابن تاشفين عن حب متبا